

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى، محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين، سيما خليفة الله في الأرضين، واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الابتلاء في الأديان والابدان ومع السلطان

يقول تعالى:

(وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)^(١)

الحديث يدور باذن الله تعالى حول قوله عز وجل: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ) في إطار مفردة (الابتلاء) فقط، وسيتدرج في محاور ثلاثة:

١- اطلاقات الابتلاء.

٢- انواع الابتلاء.

٣- الموقف من الابتلاء.

المحور الاول: اطلاقات الابتلاء:

لعل أذهان الكثيرين تحتزن شحنة من السلبية حول مفردات الابتلاء والامتحان والاختبار؛ اذ المعهود عند عامة الناس ان الامتحان والاختبار مثلا . وهما اللذان فُسر بهما الابتلاء . أمر صعب عسير يستبطن المشاكل والمحن والرزايا أو السقوط والخسران، إضافة الى ما يستلزمه الابتلاء والامتحان من التعب النفسي والجسدي.

لكننا عندما نتبع إطلاقات الابتلاء في كتب اللغة، ثم في القرآن الكريم نجدها أوسع من ذلك.. ذلك ان للابتلاء إطلاقات:

١- فقد يطلق على النعمة.

٢- وقد يطلق على النعمة.

٣- وقد يطلق على الاختبار بنفسه.

فان النعمة ابتلاء، والولد الصالح نعمة ولا شك لكنه ابتلاء، كما ان الولد الطالح نعمة وهي ابتلاء ايضا فان الله تعالى يبتلي عبده بالنعمة ليمتحن شكره كما قد يبتليه بنعمة ليختبر صبره.

كذلك الأمن فانه من الابتلاء كما ان اللأمن والفوضى والاضطراب هي ايضا ابتلاء، والله تعالى قد يمنّ على عباده في بلد ما بالأمن ليختبر مدى التزامهم وعدم اغترارهم بأمنه وامانه الا اننا نجد من يستغل ذلك لمعصيته تعالى كما ان اللامن نعمة لكنه في نفس الوقت ابتلاء.

كذلك ان يكون الانسان عالما نوع اختبار وابتلاء، فهل يتكبر ويعلو على الآخرين ويرى نفسه افضل منهم ام يتواضع لمن يعلمهم فيرشدهم الى ما فيه الخير والصالح بكل تواضع وسعة صدر وأخلاق فاضلة؟ كما ان يكون الانسان جاهلا . وهو مكروه . فانه ايضا نوع اختبار وامتحان وهل انه يسعى ليسأل ولا يأنف بل يتواضع للعلم والعلماء ام يبقى مترددا في جهله وغيه؟

وموجز القول: ان الابتلاء بحسب ما يستفاد من اللغة انه يطلق على النعمة وعلى النعمة كما يطلق على الاختبار نفسه فهو يطلق على المتعلق والمتعلق معاً.

وعندما نرجع إلى القرآن الكريم نجده تعالى يقول:

(وَنَبَلُوكُم بِالْأَشْرِّ وَالْأَخْيَرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)^(٢)

فالشّر والخير إذن كلاهما فتنة، وقد عبرنا في مستهل بحثنا بالاطلاقات ولم نعبر بالمعاني؛ لأنها مصاديق لا معاني أو لان الابتلاء يحصل بالشّر وبالخير وليس الشر والخير مرادفين للابتلاء معنى بل لهما معانيهما الخاصة بهما كما هو واضح

وعلى ذلك فان كل هذه الدوائر من النعم والنعم هي دوائر ومساحات الاختبار والامتحان والفتنة.

(١) البقرة ١٢٤

(٢) الانبياء ٣٥

وعلينا ان نلاحظ الآية الكريمة (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ...) على ضوء إطلاقات الابتلاء هذه بأجمعها.

المحور الثاني: انواع الابتلاء

الابتلاء في الأبدان أو في الأديان

ان الابتلاء له عدة أنواع وأقسام ومصاديق فقد يكون الابتلاء في الاديان وقد يكون في الابدان، وقد تكون بلية واحدة تعم الأديان والأبدان معاً. فالإرهاب مثلا بلاء لكن مصبّه عادة على الأبدان، كما ان الوهابية ايضاً بلاء لكن مصبّها الأديان والابدان معاً! واما بعض مشتقات الوهابية مثل القاعدة وداعش وغيرها فانه يمكن القول ان مصبها الابدان فقط.

دعاوى المهدوية والشهادة الشيطانية

ان بعض الذين يدعون الارتباط بعالم الغيب أو يدعون الارتباط بالامام المهدي (عليه السلام) ايضاً هم فتنة في الاديان وقد قال لي احدهم: ان فلانا له ارتباط خاص بالإمام (عليه السلام) حيث انه اخبرني بما لم يطلع احدٌ عليه من حياتي الخاصة... ومعنى ذلك ان عنده علم الغيب وهو شاهد صدق على ارتباطه بالإمام الغائب (عليه السلام) !!.

والجواب: لكن الحقيقة ان الائمة حذرنا من ذلك وبينوا ان من يخبر عن المغيبات ليس بالضرورة مرتباً بالرحمن وعالم الغيب، بل قد يمدد بذلك الشيطان قال تعالى: (كُلًّا نُمِدُّ هُوَآلًا وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا)^(١) فالمقياس بين الرحماني والشيطاني هو البراهين والعقل الذي يحكم بصدق هذا عن كذبه، اما ما يخالف ذلك فقد يكون من الرياضة والارتياض او من اخبار الشياطين أو الجن كما هو معروف عن الكهّان وغير ذلك.

والأدلة على ذلك كثيرة جداً ومنها ما رواه الشيخ القمي في سفينته^(٢) عن تفسير العياشي^(٣): قال الامام الصادق لعبد السلام الازدي:

يا عبد السلام احذر الناس ونفسك ! فقلت: بابي انت وامي، اما الناس فقد اقدر على ان احذرهم واما نفسي فكيف ؟ فقال: ان الخبيث^(٤) يسترق السمع فيجنيك فيسترق ثم يخرج في صورة ادمي..

وهنا يحتمل ان الشيطان نفسه (لعنه الله) يتحسد في صورة آدمي بناءً على إمكان تجسده ولو نادراً للبعض، كما يحتمل ان يأتي آدمي لكن الشيطان وحي له او تلبس بعقله وروحه وسيطر على حواسه فاصبح ناطقاً باسم الشيطان وما اكثر اولئك.

(.. فيقول: قال عبد السلام...) لان الشيطان يسمع ويسترق السمع لانه يجري مجرى الدم من الانسان. (.. فقلت: بابي انت وامي هذا ما لا حيلة له...) أي كيف استطيع ان امنع الشيطان من ان يطلع على نواياي؟ وهل يمكنني ان احول بين نفسي وتفكيري؟! فهذه بلية وطامة كبرى.. لان الشيطان له قدرات استثنائية ولولا ذلك لما تم الامتحان (.. قال هو ذاك...) أي صحيح لا يمكنك ان تمنع الشيطان من ان يطلع على تفكيرك عادة، وهذا امتحان عظيم وهو من أنواع الابتلاء في الاديان.

ومن هنا ندرك خطورة الابتلاءات خصوصا في اخر الزمان فانها ابتلاءات صعبة خطيرة وعلى الانسان ان يلتجئ الى الله تعالى وإلى اهل البيت (عليهم السلام) بالدعاء والتضرع والتوسل اضافة الى استعانتهم بعلماء أهل البيت (عليهم السلام) وبالعقل والآيات والروايات فانها خير مرشد ودليل.

من خصال الأنبياء واتباعهم

ان الابتلاء له انواع كثيرة وقد اشارت الرواية الواردة في الخصال عن الامام الكاظم الى بعضها حيث يقول الامام (عليه السلام):

((إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَأَوْلَادَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعَ الْأَنْبِيَاءِ خُصُّوا بِثَلَاثِ خِصَالٍ)) وهي خصال ابتلائية امتحانية ((السُّقْمُ فِي الْأَبْدَانِ وَخَوْفِ السُّلْطَانِ وَالْفَقْرِ)).^(٥)

وهنا علينا ان ندرس حياتنا باستمرار فهل هذه الخصال مما نتصف بها مجتمعة أو متفرقة بشكل إجمالي أو تفصيلي طوال حياتنا أم لا؟ اذ انها علامات

(١) الاسراء ٢٠

(٢) سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار مادة بلس ج ١ ص ٣٦٩ / طبعة دار الاسوة ١٤٢٧.

(٣) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٣٩.

(٤) أي الشيطان

(٥) الخصال: ج ١ ص ٨٨.

على الايمان والتقوى؛ لأنها تلازم الانبياء واتباعهم كما ينص الامام عليه السلام.

الابتلاء بالفقر

اما الفقر فهو من خصال الانبياء (عليهم السلام) واتباعهم، ولقد كان إبراهيم عليه السلام وهو أبو الانبياء فقيراً وقد عانى منه - الفقر - فترة من الزمان إلى درجة انه لم يكن يجد حتى الخبز لطعام نفسه وعياله..

(ولكن في المقابل تجد احدنا اذا مر بضائقة مالية من دين او غيره تجده عبوساً متجهماً اقرب الناس الى الكفر . والعياذ بالله . أو قد يعتب ويتململ ويشك وغير ذلك).

ففي الرواية (١) عن الامام الصادق (عليه السلام) : ((كَانَ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَام) إِذَا ضَاقَ^(٢) أَتَى قَوْمَهُ وَ أَنَّهُ ضَاقَ ضَيْقَةً فَأَتَى قَوْمَهُ فَوَافَقَ مِنْهُمْ أَرْزَمَةً فَرَجَعَ كَمَا ذَهَبَ...)) ولكن كيف يرجع إلى بيته حاوي الوفاض وليس معه حتى الدقيق؟

الا انه كان يحمل خرجاً.. فملأه بالرمل^(٣) ودخل بيته ووضع الخرج جانبا واخذ يصلي واطال الصلاة ولعله كان محرجاً فيما يبدو، فرأت زوجته سارة انه اطل المكث في الصلاة فجاءت اليه وحركته وقالت هيا يا نبي الله إلى تناول الطعام فاستغرب ولما انفتل من صلاته قال من اين لنا الطعام؟ واذا به (عليه السلام) يرى ان الله تعالى حول الرمل الذي وضعه في خرجه الى دقيق!! فرجع إبراهيم رأسه إلى السماء وقال اشهد انك الخليل!! ونص الرواية: ((فَلَمَّا قَرَّبَ مِنْ مَنْزِلِهِ نَزَلَ عَنْ حِمَارِهِ فَمَلَأَ خُرْجَهُ رَمْلًا إِرَادَةً أَنْ يُسَكِّنَ مِنْ رُوحِ سَارَةَ- فَلَمَّا دَخَلَ مَنْزِلَهُ أَخَذَ الْخُرْجَ عَنِ الْحِمَارِ وَافْتَتَحَ الصَّلَاةَ فَجَاءَتْ سَارَةُ فَفَتَحَتِ الْخُرْجَ فَوَجَدَتْهُ مَمْلُوءًا دَقِيقًا فَاعْتَجَنَتْ مِنْهُ وَاخْتَبِرَتْ ثُمَّ قَالَتْ لِإِبْرَاهِيمَ انْفَتِلْ مِنْ صَلَاتِكَ فَكُلْ فَقَالَ لَهَا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ مِنْ الدَّقِيقِ الَّذِي فِي الْخُرْجِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ الْخَلِيلُ))^(٤)

ومن ذلك نكتشف شدة ما كان فيه ابراهيم خصوصا اذا علمنا ان تدخلات الله الغيبية في مثل هذه القضايا الشخصية قليلة جداً.

وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يشد حجر الجماعة على بطنه ثلاثة ايام.

الابتلاء بخوف السلطان

اما خوف السلطان فهو ايضا من علامات اتباع الانبياء وهو من خصال المؤمنين وصفاتهم وذلك لانهم دائماً في مواجهة السلطان الجائر يستنكرون عليه ظلمه وجوره ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر إذ السلاطين عادة جائرون، واما السلطان العادل فهو اعز من الكبريت الاحمر فاين تجد البشرية المعذبة سلطانا عادلا كماير المؤمنين والرسول الاكرم (صلوات الله عليهما والهما)!!؟

وهذا مقياس هام ودقيق على المؤمن ان يضعه نصب عينيه دائماً فعلى المؤمن ان يلاحظ ما اذا كان لا يخاف من السلطان الظالم وما إذا لم يكن يتعرض له السلطان بشيء فعلياً عندئذ ان يشك على الاقل: هل موافقي سليمة ام لا؟ ونعني بالسلطان الأعم من السلطان الغربي او الشرقي أو الحكومي المسيطر على بلادنا بقوة النار والحديد.

ونحن كرجال دين . بل وكل مؤمن . تقع على أعناقنا مسؤولية أكبر فان مهمتنا خطيرة الى ابعد الحدود، وقد نتقلب في دول عديدة ونهاجر إليها وقد تتغير الحكومات، وهي حكومات جائرة عادة، فعلينا ان نجعل المقياس في كوننا من اتباع الانبياء هو مدى توفر علاماتهم ومنها خوف السلطان فينا، وخوف السلطان مما لا يحصل في كثير من الأحيان إلا لدى معارضة الظالم وفعاله واقواله التي تخالف الدين والإنسانية.

جهاد إبراهيم (عليه السلام) مع الروم

ولقد كان إبراهيم (عليه السلام) من المجاهدين في سبيل الله تعالى ففي نوادر الراوندي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان إبراهيم (عليه السلام) قاد جيشاً من اتباعه وذهب الى قتال الروم لانهم اختطفوا لوطاً (عليه السلام) وحاربهم وحرر لوطاً (عليه السلام). ونص الرواية ((نَوَادِرُ الرَّاؤُنْدِيِّ، بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ع عَنْ آبَائِهِ ع قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَوَّلُ مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ (عليه السلام) حَيْثُ

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ٢٧٧.

(٢) ضاق عليه الرزق وسيأتي ان ضائقته كانت بدرجة انه لم يكن يجد حتى الطعام.

(٣) ولعل منطقتة كانت ترابية فحمل الرمل أثناء سفره.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٧.

أَسْرَتِ الرُّومِ لُوطاً (عليه السلام) فَنَفَرَ إِبْرَاهِيمُ (عليه السلام) وَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ ((^(١)).

الجهاد ضد داعش والإرهاب

والان نرى هذه الجماعة المؤمنة من رجال الدين والشبان الغيارى الذين يقاتلون الارهابيين ويجاهدون في سبيل الله تعالى وهم مفخرة البلاد حقا وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ((أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَ سَوَّغَهُمْ كِرَامَةً مِنْهُ لَهُمْ وَ نِعْمَةً ذَخَرَهَا وَ الْجِهَادُ هُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَ دِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ وَ جَنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الدُّلِّ...))^(٢).

ان المؤمن هو من يتصدى دائما للظالم ويواجهه سواءً في سوح القتال أم على الأصعدة السياسية والإعلامية أم في المجالات الفكرية والثقافية والتوعوية. بعض العلماء ممن ذهب الى الجهاد^(٣) في بعض الجبهات وهو ممن يحضر هذا المجلس، لما رجح شاهدها اثر حرارة الشمس على وجهه وارتفاع معنوياته، وقد قال كلمة اثرت في كثيرنا قال: هؤلاء المجاهدون وجدتهم افضل مني كثيرا.. وهو يقصد ما لمس فيهم من إخلاص وتفاني وبطولة وشهامة ورجولة، رغم اني أعلم ما يتمتع به هذا العالم من إخلاص وغيره وشجاعة..

ان السلطان له اجهزة واذرع وادوات مختلفة وقد ينال من المؤمنين من خلالها ففي زمن اللانظام الصدامي السابق كان بعضهم لا يسقط في امتحان التهديد بالقتل بل الكثيرين كانوا يتمنون القتل إذ بعد ذلك راحة الابد، لكن البعض قد يسقط في امتحان اهتزاز المكانة الاجتماعية لان الظالم واجهته يعرف ان الكثير من الناس يهتمون كثيرا بسمعتهم ومكانتهم وهي نقطة ضعف كبرى بالنسبة لهم لذا يتخذ الطغاة منهجية التسقيط الاجتماعي وإثارة الإشاعات الكاذبة واتهام المخلصين بأبشع التهم السياسية كالعمالة، أو الأخلاقية أو غيرها وكان البعض ينهار أمام أمثال هذا الابتلاء والامتحان.

الامام الحسن (عليه السلام) والابتلاء بالسمعة والمكانة

ولعل المستظهر هو ان اخطر ابتلاء واجهه الامام الحسن المجتبي (عليه السلام) وتحداه ونجح فيه أكبر النجاح هو الامتحان والابتلاء بمكانته الاجتماعية وتزعزعها حتى عند الاصحاب الخالص والظاهر ان امتحان القتل كان اسهل بكثير - لو كانت الوظيفة الشرعية تقود إليه - من الابتلاء بمصاحبة معاوية بن أكلة الأكباد.

وتتحلى لنا مدى صعوبة هذا الابتلاء عندما نعرف ان مثل حجر بن عدي وهو ذلك البطل العظيم المنزلة، تكلم بكلام . وفي حضور معاوية . جدا ثقيل، فقال وهو يخاطب الامام الحسن سيد شباب اهل الجنة (عليه السلام):

(أَمَّا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ مِتَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَمَتْنَا مَعَكَ وَلَمْ نَرِ هَذَا الْيَوْمَ فَإِنَّا رَجَعْنَا رَاغِمِينَ بِمَا كَرِهْنَا وَرَجَعُوا مَسْرُورِينَ بِمَا أَحْبَبُوا...)^(٤) وقد

أجابه الإمام بجواب بليغ يكشف عمق المرارة كما يكشف عمق الحكمة^(٥)

كذلك عدي بن حاتم الطائي نجده يخاطب الامام (عليه السلام) : (يا ابن رسول الله، لوددت اني مت قبل ما رأيت، اخرجتنا من العدل إلى الجور، فتركنا الحق الذي كنا عليه، ودخلنا في الباطل الذي كنا نهرب منه، اعطينا الدنيا من أنفسنا، وقبلنا الخسيس التي لم تلق بنا...) وقد أجابه الإمام بجواب حكيم^(٦).

ولكم ان تصوروا مدى مرارة وثقل هذا الكلام إذا خوطب به مرجع تقليدي؟ فكيف بالإمام المعصوم؟ فأبي ابتلاء كان الامام الحسن (عليه السلام) يواجهه معه في مكانته وموقعه؟ ومع ذلك ضحى به صابراً محتسباً إذ اقتضت الوظيفة الشرعية ذلك.

رضا الله أو ثناء الناس!

ان علينا ان نلاحظ هذه المعادلة بكل دقة في انفسنا في أي موقع ومكانة كنا في سدة الحكم والمسؤولية الحكومية والادارية أو في قيادة حزب أو تجمع

(١) بحار الأنوار ج ١٢ ص ١٠.

(٢) الكافي (ط - الإسلامية) ج ٥ ص ٤ فضل باب الجهاد.

(٣) في هذه الايام (محرم ١٤٣٦ . تشرين الثاني ٢٠١٤ م) يقاتل المجاهدون من ابناء العراق الارهابيين الوهابيين في غرب العراق اثر هجمتهم الهمجية الحاقدة (المقرر)

(٤) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام ج ٤ ص ٣٥، وبحار الأنوار (ط - بيروت) ج ٤٤ ص ٥٧.

(٥) قال (عليه السلام) (يَا حُجْرُ قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكَ فِي مَجْلِسِ مُعَاوِيَةَ وَ لَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ يُحِبُّ مَا تُحِبُّ وَ لَا رَأْيُهُ كَرَأْيِكَ وَ إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ مَا فَعَلْتَ إِلَّا إِنْقَاءَ عَلِيكُمْ وَ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنِ)

(٦) قال عليه السلام (يا عدي! اني رأيت هوى معظم الناس في الصلح وكرهوا الحرب، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فرأيتُ دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإن الله كل يوم هو في شأن).

أو عشيرة أو كنا في موقع المدرس أو الوكيل أو المرجع أو غير ذلك، فاذا ما تعرضنا لابتلاء في موقعنا ومناصبنا ومكانتنا فما الذي ينبغي علينا فعله؟ وهل نقدم عندئذٍ رضا الله تعالى أم رضا أنفسنا ونرجح الاحتفاظ بكرامتنا وماء وجهنا وسمعنا مقابل ان نخسرها إذا أصررنا على الدفاع عن المظلوم أو على الأمر المعروف أو النهي عن المنكر أو أصررنا على مواجهة الطغاة والمستبدين؟ انه ابتلاء بحق واي ابتلاء؟

ان من أشد الابتلاءات التي تواجه المصلحين أن الطغاة يشهرون بوجههم سلاح التشويه وسلاح التهمة والانتقاص وهي التي عادة ما يستعملها الظالمون.

وقد سب معاوية واتباعه وجلاوزته امير المؤمنين (عليه السلام) لأربعين سنة خلت من عمر الامة الاسلامية على سبعين الف منبر على ما في بعض الروايات، او تسعين الف منبر في روايات أخرى صحيحة حتى من طرق العامة.

وهذه الروايات كانت السبب وراء تشيع احد اشد الوهابية سلفية وتشددا. وقد نقل لي ذلك هو شخصيا فقال: كنت سلفيا متشددا وكانوا يعطوني بعض المصادر المحددة التي لا يُسمح لي بتجاوزها كي استخرج منها بعض المآخذ على الشيعة ثم كانت تطبع على شكل كتيبات وتوزع على الناس.

وفي يوم من الأيام قالوا لي ان الشيعة كذابون دجالون، ومن دجلهم: انهم اتهموا سيدهم معاوية بانه كان يسب علي بن ابي طالب (عليه السلام) على سبعين الف منبر!! فخذ هذه المصادر واكتب كتيبا عن ذلك تثبت فيه كذبهم في هذه الفرية على معاوية.

يقول فاستغربت وقلت: كيف وصل الأمر بالشيعة إلى ان يتهموا حال المؤمنين بارتكاب مثل هذه الاعمال المشينة!! يقول: حيث تملكني الفضول قررت ان ابحث في غير المصادر التي أعطوني لأتوسع في البحث أكثر فراجعت بعض المكتبات من غير ان اخبرهم فوجدت رواية صحيحة الإسناد من طرفنا أيضاً وقد وثق رجالها اعلام الرجال من أهل العامة، والرواية تقول: (ان علي بن ابي طالب بأمر معاوية كان يسب علي تسعين الف منبر!)

يقول: ما ان عثرت على هذه الرواية من طرفنا حتى اهتزت كل قناعاتي.. وكل المنظومة الفكرية التي بنيت على الضلال فاهتارت في لحظات... ثم انه اخذ يبحث أكثر وأكثر حتى من الله عليه بالتشيع والاستبصار، ثم كتب كتبا عديدة عن مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

لا تخافوا من التهم أو المقاطعة!

ان سلاح التهمة سلاح فعال ينطلي على الكثير من المغفلين وكثيراً ما يستعمله الظالمون ضد المؤمنين وعلى الانسان المؤمن ان لا يخاف منه ولا يهتز ولا يتراجع ما دام على الحق.

وفي قصة ابراهيم (عليه السلام) عبرة بالغة ودلالة أكيدة ولعل مسالة حرقه بالنار كانت الالهون والايسر لديه ولعل الاصعب منها كان امتحان تشويه السمعة والحصار الاجتماعي بل والمقاطعة العامة التي ضربها عليه النمرود واتباعه وهو امر لا يتحمله غالباً حتى الأشداء من الرجال.

واننا الآن قد لا نشعر بمدى صعوبة هذا الابتلاء؛ لاننا نعيش في بحر من الصداقات والعلاقات الاجتماعية المتميزة فما أكثر اخواننا واصدقائنا في الحوزة العلمية المباركة او في خارجها وهي نعمة كبيرة علينا شكرها، لكن ماذا لو قاطعكم أحد الجيران ثم ثان ثم ثالث؟ وماذا لو هجركم كل الأقرباء أيضاً؟ وماذا لو عاداكم الناس بأجمعهم؟

ان ابتلاء النبي أو أي مصلح هو ان يتعرض الى السب والاهانة والشتائم حتى من أقرب الناس إليه ثم ان يتعرض إلى المقاطعة الاجتماعية الشاملة لكنه يبقى مع ذلك شاعراً صابراً محتسباً وهذا مقام عظيم لا يلقاه الا ذو حظ عظيم.

ويشير إلى بعض ذلك قوله تعالى عن لسان إبراهيم (عليه السلام): (وَأَعْتَرُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)^(١)

ابتلاء إبراهيم (عليه السلام) بالمقاطعة الاجتماعية

وفي الرواية: ان من الكلمات التي ابتلى الله عز وجل بها ابراهيم (عليه السلام): اليقين، ومنها الشجاعة، ومنها الاعتزال وقد بقي ابراهيم (عليه

(السلام) وحيدا فريدا الى فترة طويلة إلى ان انسه الله تعالى بإسماعيل واسحاق وهذه الفترة لا يعلم مقدارها الا الله^(١) وقد جاء في تفسير العياشي: ((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا)^(٢) فصبر بذلك ما شاء الله!! ثم ان الله تبارك وتعالى انسه باسماعيل واسحاق فصاروا ثلاثة))

ولأجل ذلك يقول الامام علي (عليه السلام): ((لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقَلَّةِ مَنْ يَسْلُكُهُ...))^(٣) ذات يوم من الايام قلت لاحد الفضلاء وقد كان يعتقد ان الحق في أمر ما، الا ان الجو الضاغط كان في اتجاه اخر وقد كان متحيرا فقلت له: اجعل المقياس بينك وبين نفسك هو ان تتدبر قليلا وترى ان كلمة الحق هذه هل رضا الامام الحجة (عليه السلام) فيها ام لا؟ (ذلك انه احيانا قد يتضح الأمر للإنسان فعليه ان يأخذ به يعمل على طبق وظيفته، لكن اذا لم يتضح له وجه الصواب فعليه ان يأخذ بالأصول العامة.

والحاصل ان على الإنسان ان يلاحظ هذا الامر، ثم لا عليه بمن يعترض او يغضب، وبعبارة اخرى: في باب التزام لا تلاحظ شخصيتك انت بل لاحظ القضية بتزامنتها وما الذي ينبغي ان يقال فيها ثم اجعل ذلك كله كأنه معروض على الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) مباشرة) فقال لي: انه لو كان يفكر بهذا التفكير حينذاك لنطق بتلك الكلمة الحققة ولقالها غير هياب، الا انه لم يكن يجراً عليها قبل ذلك خوفاً من ردود فعل بعض الرموز والمحاور!

مواجهة الإمام الحسن (عليه السلام) الشديدة لمعاوية

في هذه الايام نعيش ايام شهادة الامام الحسن (عليه السلام) وعلينا ان نضع مواقف الصلبة في مقابل معاوية وجلالوته وكيفية مواجهته لهذا الطاغوت، مدّ أبصارنا دائماً.

وكنت افكر مع نفسي: ان الانسان قد يتلى في مختلف الحالات فقد تستدعي ظروفه لسبب أو آخر ان يكون ضمن السلطة وفي بعض أجهزة الحكم أو القريبة منها وقد تقتضي وظيفته ان يكون ضد السلطان وان يواجهه من خارج منظومة السلطات الثلاث، لكن عليه في جميع الحالات ان لا يتخلى عن وظيفته الشرعية في النهي عن المنكر بشجاعة وحكمة وقوة سواءً من خارج السلطة أم من داخلها. وتكفينا مواقف الإمام الحسن (عليه السلام) وكلماته بعد الصلح فقد كانت جدا قوية.

ومنها: قوله في قضية حدثت وهو يخاطب معاوية: (ولو آثرت ان اقاتل احدا من اهل القبلة لبدأت بقتالك، فاني تركتك لصلاح الامة وحقن دماءها...)

وفي موضع اخر... قال معاوية للإمام - في ضمن مواجهة طويلة بينهما - : اما انك تحدث نفسك بالخلافة. فقال الامام (عليه السلام): (اما الخلافة فلمن عمل بكتاب الله وسنة نبيه، وليست الخلافة لمن خالف كتاب الله وعطل السنة، انما مثل ذلك مثل رجل اصاب ملكا فتمتع به وكانه انقطع عنه وبقيت تبعاته عليه)

وفي رواية اخرى: (...قال معاوية للإمام الحسن (عليه السلام): يا حسن انا خير منك، فقال له الامام (عليه السلام): وكيف ذلك يا ابن هند؟.. وهذا تعريض شديد بمعاوية وبامه اكلة الاكباد مع انه كان امبراطوراً جباراً طاغياً شديد الخبث (فقال معاوية: لان الناس قد اجمعوا عليّ ولم يجمعوا عليك. فقال له الامام (عليه السلام): هيهات! لشّر ما علوت به يا ابن اكلة الاكباد، المجمعون عليك رجالان بين مطيع ومكروه: الطائع لك عاص لله والمكروه معذور بكتاب الله، وحاشا لله ان اكون خيرا منك لأنك لا خير فيك فان الله قد برّاني من الرذائل كما برّك من الفضائل...)

نسال الله سبحانه وتعالى ان يجعلنا واياكم ممن ينجحون في كافة الابتلاءات والامتحانات وعلى مختلف المستويات حتى اللقاء برسول الله وامير المؤمنين وسائر الائمة الطيبين الطاهرين في لحظات الاحتضار ثم عند مساءلة منكر ونكير (أو مبشر وبشير - بلطف الله) ثم في عالم البرزخ ثم في عرصات المحشر

(١) لان الذرية جاءت الى ابراهيم عليه السلام في اخر عمره كما يصرح القران بذلك: (وَأَمْرَأَتُهُ قَانِمَةٌ فَصَحَّكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْثٌ لِي مِن شَيْخَا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ) هود ٧١

٧٣- (المقرر).

(٢) النحل ١٢٠.

(٣) الآمالي ص ١٣٧، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٠ ص ٢٦١.

ووصولاً - بلطف الله ومّته وكرمه وبشفاعة المعصومين عليهم صلوات المصلين - إلى روح وربحان وجنةٍ ورضوان. انه السميع المجيب.